مكانة أهل الحديث

ومآثرهم، وآثارهم الحميدة في الدين

بقلم

فضيلة الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الناشر
الدار السلفية
حولي ــ شارع تونس
مقابل محافظة حولي
تلفون : ٢٥١٧٤٢٠
ص.ب : ٢٠٨٥٧ الصفاة ــ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في سطور

- هو الدكتور « ربيع بن هادي عمير المدخلي » الأستاذ المشارك ، ورئيس قسم السنّة بالدراسات العليا بالجامعة الاسلامية بالمدينة الطيبة
- ولد بمنطقة « صامطة » بالمنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية عام ١٣٤٩هـ ، وتلقى تعليمه الابتدائي بها ، ثم التحق بالجامعة الإسلامية إلى أن تخرج من كلية الشريعة عام (١٣٨٤ ـ ١٣٨٥ هـ)
- وواصل دراسته العليا ، وحصل على « ماجستير » في قسم السنّة وعلومها بجامعة أم القرى عام ١٣٩٧هـ
- ثم حصل على « دكتوراه » عام ١٤٠٠ هـ .

مؤلفاته وتحقيقاته :

- « بين الإمامين : مسلم والدارقطني » (مطبوع في مجلد كبير . وهو رسالة ماجستير)
- تحقيق « النكت على كتاب ابن الصلاح للحافظ ابن حجر (مطبوع في جزءين وهو رسالة الدكتوراه)
- تحقيق « كتاب المدخل إلى الصحيح » للحاكم (طبع الجزء الأول منه)
- تحقيق « كتاب التوسل والوسيلة » للإمام ابن تيمية . (لم يطبع)

وله رسائل وتحقيقات اخرى ، ومحاضرات قيمة ، ومقالات هادفة نشرت في بعض الصحف والمجلات ، ولا تزال تنشر .

وهذه الرسالة التي بين أيديكم ، عبارة عن محاضرة القاها في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة . وتلقتها الصحف والمجلات بالنشر والتوزيع ، فنشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة اولا ، وفي مجلة الجامعة السلفية ثانيا ، والآن تنشر في رسالة مستقلة أخيراً - لا آخراً - راجين من الله القدير أن تعم فائدتها ، وتحظى بالقبول لدى الباحثين عن الحق ، وتكون نواة خير لإزالة كثير من المغالطات المغرضة ضد اصحاب الحديث وأهله ، وسبباً للعودة بالمغتربين بها إلى المنهج المستقيم ، والمنهل الصافي من أكدار الأفكار الدخيلة على الإسلام ، وعقيدته الصحيحة ، قديماً وحديثاً .

هذا ، والمؤلف - حفظه الله ورعاه - من الدعاة الغيورين على الكتاب والسنّة ، والمدافعين المعدودين عن نهج السلف الصالح نهاراً وجهاراً ، من غير أن تأخذه فيه لومة لائم . هذا ما أرى ولا أزكي على الله أحدا .

وأدعو الله عز وجل أن يوفقنا جميعا لخدمة الكتاب والسنّة ، والدفاع عنهما ، والاعتصام بهما عقيدة ، ونهجاً ، وسلوكاً . وهو ولي التوفيق .

كتبه
أحد تلاميذ المؤلف
(غفر الله له ، ولوالديه ومشايخه)

الكويت
يوم الأربعاء :
١٨من شعبان ١٤٠٥ هـ
٨ من مايو ١٩٨٥ م

تقديم المؤلف

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بعثه الله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

هدى الله به الناس من الضلالة ، وأخرجهم من الجهالة ، وألف به شتات الأمة العربية ، بعد أن كانت أمة مُمزَّقة ، تمزقها الأهواء ، ويسيطر عليها الجهل ، وأوصاهم الله تبارك وتعالى ، بعد أن تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ـ بالاعتصام بما جاء به محمد ـ ﷺ ـ ونهاهم عن مخالفته ، وزجرهم ووعدهم أشد الوعيد من أن يخالفوه ـ الله ـ .

وحيث أني وجدت أهل الحديث في السابق واللاحق هم أشد الناس ارتباطاً بنصوص الكتاب والسنّة ، وأشد الناس

امتثالاً بتلك الأوامر ، وأشد الناس بعداً عن مخالفة رسول الله - ﷺ تنفيذا لتلك الزواجر .

بناء على هذا ، وعلى ما درست من تأريخهم ، وواقعهم اخترت هذا العنوان لأهل الحديث : « مكانة أهل الحديث ، ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين ، وشهادات العدول الصادقين لهم بأنهم على الصراط المستقيم ، والحق الواضح المبين » .

والمحاضرة تحت هذا العنوان ، قد بينت فيها من هم « أهل السنة أهل الحديث » ، وخدمتهم العامة للإسلام » وخدمتهم الخاصة بالجانب العقدي » ، ومواقفهم ممن شذ عن منهج الله تبارك وتعالى من الفرق التي حصلت ، والتي نبه رسول الله - ﷺ - على وقوعها .

ثم ختمت ذلك بشهادات العدول الصادقين من العلماء لهذه الطائفة بأنها التي تمثل الإسلام الحق ، وأنها على الصراط المستقيم .

وسبب آخر يضاف إلى هذا الباعث هو أني رأيت ان المنتمين إلى السنّة في مشارق الأرض ومغاربها ، يحبون اهل الحديث ،

ويحترمونهم ، ويجلونهم ، ويعتبرونهم أئمتهم ، ولكنهم لأسباب عديدة ، وعوامل دينية وتربوية كثير منهم يدور في فلك غير فلك اهل الحديث .

فإذا ألقينا الضوء على مكانة اهل الحديث ، وما قدموه من خدمة للاسلام ، ومواقفهم من أهل البدع بيانا للسنة ، ودفاعا عنها ، ربما ينفع ذلك إن شاء الله كثيرا منهم ـ أو كلهم ـ فيعودوا إلى عرينهم ، وإلى أصلهم ، فإن هؤلاء المنتمين إلى السنة أصل معتقدهم هو معتقد اهل الحديث . ولكن تحت بعض الستار والاقنعة من الدهاء والسياسة روج بعض الناس أفكارا غريبة عن اهل الحديث في صفوفهم من غير أن يعوا ذلك ، وينتبهوا ، ويشعروا .

ولعلهم إذا عرفوا جهود أسلافهم ، وعرفوا واقع اسلافهم ، نرجو ان يعودوا الى ذلك المنهج السوي إن شاء الله .

ونبدأ الآن بما كتبناه في هذا الموضوع[١] :

---

(١) نقل هذا التقديم من الشريط المسجل .

مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - ﷺ - وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد - فإن الله بعث محمداً - ﷺ - بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وإن أسعد الناس بهديه واتباعه وحبه وموالاته ونصرة ما جاء به من الحق ، هم صحابته الكرام ، ومن اتبعهم بإحسان من القرون المفضلة . ومن سلك سبيلهم ، وترسم خطاهم إلى يوم الدين .

ثم إن مَنْ يدرس أحوال السابقين واللاحقين من الفرق المنتسبة إلى أمة محمد - ﷺ - ، ويدرس مناهجهم وعقائدهم وأفكارهم ، بانصاف وفهم وتجرد ، يجد أن أهل الحديث هم أشد الناس اتباعاً وطاعة وتعلقاً وارتباطاً بما جاءهم به نبيهم

محمد ـ ﷺ ـ ، كتاباً وسنة ، في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ودعوتهم واستدلالهم واحتجاجهم ، وهم على غاية من الثقة والطمأنينة ، بأن هذا هو المنهج الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وأنه الطريق السليم ، والصراط المستقيم .

وما عدا ذلك من المناهج والسبل فأمر لم يشرعه الله ، ولم يرض به ، ولا يؤدي إلا إلى الهلاك والعطب .

فمن هم أهل الحديث إذا ؟

هم من نَهَجَ نَهْجَ الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، في التمسك بالكتاب والسنة والعض عليهما بالنواجذ ، وتقديمهما على كل قول وهدى ، سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة والاجتماع .

فهم ثابتون في أصول الدين وفروعه ، على ما أنزله الله وأوحاه على عبده ورسوله محمد ـ ﷺ ـ .

وهم القائمون بالدعوة إلى ذلك بكل جد وصدق وعزم . وهم الذين يحملون العلم النبوي ، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

فهم الذين وقفوا بالمرصاد لكل الفرق التي حادت عن المنهج

الاسلامي : كالجهمية ، والمعتزلة ، والخوارج ، والروافض ، والمرجئة ، والقدرية ، وكل من شذ عن منهج الله ، واتبع هواه ، في كل زمان ومكان ، لا تأخذهم في الله لومة لائم .

هم الطائفة التي مدحها رسول الله ـ ﷺ ـ وزكاها بقوله : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » .

هم الفرقة الناجية الثابتة على ما كان عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه . الذين ميزهم رسول الله ـ ﷺ ـ وحددهم ، عندما ذكر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : «من كان على ما أنا عليه وأصحابي » .

لا نقول ذلك مبالغة ولا دعاوي مجردة ، وإنما نقول الواقع الذي تشهد له نصوص القرآن والسنة ، ويشهد له التاريخ ، وتشهد به أقوالهم ، وأحوالهم ، ومؤلفاتهم .

هم الذين وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جميعاً ولا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣]

وقوله : ﴿ فَليحذر الَّذين يُخالفُونَ عنْ أمره أنْ تُصيبهُمْ فِتنةٌ

أو يُصيبهُمْ عَذَابٌ أليمٌ ﴾ [النور : ٦٣] فكانوا أشد بُعداً عن مخالفة أمر رسول الله - ﷺ - وأبعدهم عن الفتن .

وهم الذين جعلوا دستورهم : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ [النساء : ٦٥]

فقدروا نصوص القرآن والسنة حق قدرها ، وعظموها حق تعظيمها ، فقدموها على أقوال الناس جميعاً ، وقدموا هديها على هدي الناس جميعاً ، واحتكموا إليها في كل شأن عن رضى كامل ، وصدور مشرحة ، بلا ضيق ولا حرج ، وسلموا لله ولرسوله التسليم الكامل ، في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم .

هم الذين يصدق فيهم قول الله : ﴿ **إنما كَانَ قَوْلَ المُؤْمنينَ إذا دُعُوا إلى الله وَرَسولِهِ ليحكمَ بينهُمْ أَنْ يَقولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلئكَ هُمُ المُفْلحُون** ﴾ [النور : ٥١]

هم بعد صحابة رسول الله جميعا - وعلى رأسهم : الخلفاء الراشدون - هم سادة التابعين وعلى رأسهم : سعيد بن المسيب (ت بعد ٩٠ هـ) وعروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ) وعلي بن الحسين زين العابدين (ت ٩٣ هـ) ، ومحمد بن الحنفية (ت بعد ٨٠ هـ) ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت

٩٤ أو بعدها) وسالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦ هـ) والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٦ هـ) والحسن البصري (ت ١١٠ هـ) ، ومحمد بن سيرين (ت ١١٠ هـ) ، وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١ هـ) ، ومحمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٥) .

ثم اتباع التابعين وعلى رأسهم : مالك (ت ١٧٩هـ) والأوزاعي (ت ١٥٧هـ) وسفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١هـ) ، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) ، وإسماعيل بن علية (ت ١٩٣هـ) ، والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) ، وأبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) .

ثم أتباع هؤلاء ، وعلى رأسهم : عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ) ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ) ، والامام محمد بن ادريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، وعبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ) ، ويحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ) ، وعفان ابن مسلم (ت ٢١٩هـ) .

ثم تلاميذ هؤلاء الذين سلكوا منهجهم وعلى رأسهم : الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ) ، وعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) .

ثم تلاميذهم كالبخاري (ت ٢٥٦هـ) ومسلم (ت

٢٧١هـ) وأبي حـاتـم (ت ٢٧٧هـ) ، وأبي زرعـة (ت ٢٦٤هـ) ، وأبي داود (ت ٢٧٥هـ) والتـرمـذي (٢٧٩هـ) والنسائي (ت ٣٠٣هـ) .

ثم من جرى مجراهم في الأجيال بعدهم ، كابن جريـر (ت ٣١٠هـ) ، وابن خـزيمـة (ت ٣١١هـ) ، والـدارقـطني (ت ٣٨٥هـ) ، في زمنـه ، والخـطيب البغـدادي (ت ٤٦٣هـ) ، وابن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ) .

وعبـد الغني المقـدسي ، وابن قـدامة (ت ٦٢٠هـ) وابن الصـلاح (ت ٦٤٣هـ) وابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، والمـزي (ت٧٤٣هـ) ، والـذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، وابن كثـير (ت ٧٧٤هـ) ، وأقـران هؤلاء في عصـورهم ، ومن تـلاهم واقتفى أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة ، إلى يومنا هذا .

هؤلاء الذين أعني بهم أهل الحديث .

جهودهم في خدمة السنة عموما :

لقد شرف الله اهل الحديث وأكرمهم ، بحب السنة النبـوية المطهرة واحترامها والاهتمام بها ، واعتبارها مع القرآن مصـدرا وحيـدا ، لتعاليم الاسـلام العقائـدية والتشـريعية في العبـادات والمعاملات وسائر جوانب الحياة ، فشمـروا عن ساعـد الجد في

حفظها ، والحفاظ عليها ، وتدوينها ، والرحلات الطويلة الشاقة في سبيلها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، وتدوين أسماء رواتها ، وبيان أحوالهم ، من عدالة وضبط واتقان ، أو ضعف وكذب وتدليس ، وغير ذلك من أحوالهم ، من أنواع الجرح والتعديل مما يتعلق بالأسانيد والمتون ، بدون مجاملة لأحد ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وتلك ميزة خاصة لأمة محمد - ﷺ - ، امتازت بها على سائر الأمم ، حققها الله على أيدي أئمة أهل الحديث ، الذين أبدوا من الكفاءات العلمية المدهشة ، ما لا يلحقهم ولا يدانيهم فيها اهل اي علم من العلوم .

وبرهنت اعمالهم ، وجهودهم ، وما خلفوه من تراث عظيم ، على عبقريات عظيمة ، وقرائح متوقدة ، وعقول خصبة قادرة ، على تشقيق علوم الحديث ، وتنويعها إلى حد تحار فيه الألباب .

من هذا الإنتاج العظيم أنواع المؤلفات الآتي ذكرها :

١ ــ الجوامع .
٢ ــ المسانيد
٣ ــ الصحاح
٤ ــ السنن .

٥ ـ المستخرجات .

٦ ـ كتب مفردة في أبواب مخصوصة :

ككتب في رؤية الله في الآخرة ، وكتب في الاخلاص ، والتوحيد ، والطهور ، والسواك ، والأذان ، وصفة الصلاة .

٧ ـ كتب مفردة في الآداب والأخلاق ، والترغيب ، والترهيب .

٨ ـ كتب في التفسير .

٩ ـ كتب في المصاحف ، والقراءات .

١٠ ـ كتب في الناسخ والمنسوخ .

١١ ـ كتب في الأحاديث القدسية .

١٢ ـ كتب في المراسيل .

١٣ ـ الاجزاء وهي تأليف تجمع الاحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة او من بعدهم .

١٤ ـ الفوائد .

١٥ ـ الواحدانيات .

١٦ ـ الثنائيات ، والثلاثيات إلى العشاريات .

١٧ ـ كتب في الشمائل ، والسير والمغازي .

١٨ ـ كتب في أحاديث شيوخ مخصوصين .

١٩ ـ كتب في جمع طرق بعض الاحاديث .

٢٠ ـ كتب في رواة بعض الائمة أو في غرائب حديثهم .

٢١ ـ كتب في الاحاديث الافراد .

٢٢ ـ كتب في المتفق والمفترق ، وفي المؤتلف والمختلف ، وكتب في المتشابه .

٢٣ ـ كتب في معرفة الاسماء ، والكنى ، والألقاب .

٢٤ ـ كتب في مبهم الاسانيد أو المتون .

٢٥ ـ كتب في الانساب .

٢٦ ـ كتب في معرفة الصحابة .

٢٧ ـ كتب في تواريخ الرجال ، واحوالهم .

٢٨ ـ كتب المعاجم .

٢٩ ـ كتب الطبقات .

٣٠ ـ كتب في علوم الحديث ، أي مصطلحه .

٣١ ـ كتب في الضعفاء ، وكتب في الثقات ، وكتب فيهما .

٣٢ ـ كتب في العلل .

٣٣ ـ كتب في الموضوعات .

٣٤ ـ كتب في بيان غريب الحديث .

٣٥ ـ كتب في اختلاف الحديث .

٣٦ ـ كتب في الامالي .

٣٧ ـ كتب في رواية الاكابر عن الاصاغر .

٣٨ ـ كتب في ادب الرواية .

٣٩ ـ كتب في العوالي .

٤٠ ـ كتب في الاطراف أي أطراف الأحاديث .
٤١ ـ كتب في الزوائد .
٤٢ ـ كتب في الجمع بين بعض الكتب الحديثية .

فهذه هي بعض المجالات التي كان يخوضها علماء الحديث والأثر ، تأليفا ودراسة ، وهو يدل على همم عالية ، وعقول متفتحة خصبة واسعة الآفاق وإذا كان يحق للأمة أن ترفع رؤوسها ، وتعتز بأسلافها فبهؤلاء العباقرة وبعلومهم الواسعة النافعة وعقولهم النيرة المتفتحة ، في الوقت الذي كان غيرهم ولا يزال يبذلون جهودهم ، في الحجر على العقول ، ودفع الأمة إلى الجمود القاتل المؤدي الى الهلاك والضياع والفناء .

جهودهم الخاصة بالعقيدة والدعوة الى الكتاب والسنة ، والتثبيت عليهما والدفاع عنهما

كان الصحابة - رضوان الله عليهم - ، ومن سلك منهجهم ، واتبعهم بإحسان في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ، مؤمنين إيمانا كاملا بما جاء في كتاب الله المجيد ، وسنة رسوله المطهرة ، في باب أسماء الله وصفاته المقدسة ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وكذلك في الايمان بالقدر والجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه وسائر المعتقدات التي حصل فيها الانحراف من بعض الفرق ، والله الخالق العليم الحكيم ، قد فطر الناس ، وأعدهم وهيأهم واعطاهم عقولا تناسب الحق وتوافقه ، وانزل اليهم كتبا تتضمن من العقائد والشرائع ما يوافق العقول السليمة والفطر الصحيحة التي سلمت من الانحراف والفساد . فيتلقى حواريو الأنبياء ومن ورثهم بحق ، واتبعهم باحسان ما جاء به الرسل والكتب بالإيمان والتسليم .

وهذا كان موقف الصحابة الكرام ومن اتبعهم باحسان .

ولما ذرت قرون شياطين البدع ، وقفوا لهم بالمرصاد ، فضللوهم وبدعوهم وكفروا من يستحق التكفير ، وقتلوا بعض

رؤساء البدع والفتن والزندقة ، ثم ردوا في مقالاتهم ومؤلفاتهم على اهل البدع ، وبينوا خطرها وضررها على الإسلام والمسلمين .

وثبتوا المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وبينوا لهم ان الواجب عليهم الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم - ﷺ - ، ومنابذة الأهواء وأهلها . إيماناً منهم أن القرآن والسنة كافيان غاية الكفاية في كل ما يجب على المرء الايمان به واعتقاده ، كفيلان بهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة . وأن الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة في مخالفتهما ، فاستنادا إلى ما جاء في الكتاب والسنة من وجوب اتباع الرسول - ﷺ - وطاعته ، والانقياد له ، وايجاب رد ما تنازع الناس فيه ، إلى الله والرسول والوعيد الشديد لمن خالف هذا المنهج ، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله .

ومن تحذير رسول الله - ﷺ - من البدع ، وذمه لها ، وحكمه على كل بدعة أنها ضلالة وانها مردودة لا يقبلها الله .

قام من لحقتهم هذه الفتن من الصحابة بقمع أهلها ، والرد عليهم فقام علي - رضي الله عنه - بقتل الخوارج ، وروى هو وغيره من الصحابه عن رسول الله ما يحض على قتلهم وأنه من أفضل ما يقرب الى الله .

وأحـرق غلاة الشيعـة بالنـار ، حينـما غلوا فيـه ورفعـوه إلى درجة الألوهية .

ولما بلغ عبد الله بن عمـر ـ رضي الله عنه ـ أن قـوما ينفـون القـدر ، وأن الأمر عنـدهم أنف ، قال لمن اخبـره بهم : « اذا لقيت أولئـك فـأخبـرهم أني بـريء منهم ، وأنهم مني براء . والذي نفسي بيده ، لو أن لأحدهم مثـل احد ذهبـا فأنفقـه في سبيـل الله مـا قبـل الله منـه شيئـا ، حتى يؤمن بـالقـدر خيـره وشره » .

وسُئل مالك عمن يقول « القرآن مخلوق » قال : هـو عندي كـافـر فـاقتلوه . وعن ابن المبـارك ، والليث بن سعـد ، وابن عيينة ، وهشيم ، وعلي بن عاصم ، وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح مثله[1] » ومثله عن الثوري ووهب بن جرير ، ويزيد بن هارون[2] .

(١) شرح السنة للبغوي (١/١٨٧)

(٢) خلق أفعال العباد ص ١١٩ تحقيق علي سامي النشار

يستتابوا والا ضربت أعناقهم[٣] .

وقال الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي : « لما كلم حفص الفرد الشافعي فقال حفص القرآن مخلوق ، فقال له الشافعي ـ رضي الله عنه ـ : « كفرت بالله العظيم »[٤] .

وسئل مالك عن الاستواء ، فقال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، ومأراك الا صاحب بدعة ، وأمر به فأخرج ، وكان يقول : إن الله في السماء . وأخرج رجلا من حلقته لأنه مرجىء .

وقال سعيد بن عامر : « الجهمية أشر قولا من اليهود والنصارى . قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الاديان ، أن الله تبارك وتعالى على العرش ، وقالوا هم : ليس على العرش شيء »[٥] .

وقال ابن المبارك : لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض ها هنا ، بل على العرش استوى .

وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟

(٣، ٤) شرح السنة للبغوي (١/ ١٨٧)

(٥) خلق أفعال العباد (ص ١٢٠)

قال : فوق سماواته على عرشه . . وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية[1]

وقال البخاري : « نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس ، فما رأيت أضل في كفرهم منهم ، وإني لاستجهل من لا يكفرهم الا من لا يعرف كفرهم[2] » .

ونقل الامام البخاري أقوال كثير من الأئمة في تضليل وتكفير الجهمية في انكارهم ، ان الله في السماء ، وفي قولهم : ان القرآن مخلوق (راجع خلق أفعال العباد له) .

وخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال : كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول : إن الله على عرشه ، ونؤمن بما رودت به السنة من صفاته .

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ، من غير تشبيه ولا تفسير ، فمن فسر شيئا منها وقال بقول جهم ، فقد خرج عما كان عليه النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه ،

---

(١) خلق أفعال العباد (ص ١٢٠) .

(٢) خلق أفعال العباد (ص ١٢٢)

وفارق الجماعة ، لأنه وصف الرب بصفة لا شيء .

وأخرج ابن ابي حاتم في «مناقب الشافعي» عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحدا ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة ، فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر ، فنثبت هذه الصفات ، وننفي عنه التشبيه ، كما نفى عن نفسه فقال : « ليس كمثله شيء » (انظر فتح الباري ١٣/٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

وروى الامام ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (المتوفي ٢٧٩ هـ) في جامعه حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل احد » .

وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

وروى عن عائشة عن النبي ـ ﷺ ـ نحو هذا ثم قال : « وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا ، ويؤمن بها ، ولا يتوهم ، ولا يقال كيف » ؟

هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث : امروها بلا كيف . وهكذا قول اهل العلم من اهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه ، وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر . فتأولت الجهمية هذه الآيات ، ففسروها على غير ما فسر اهل العلم وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا : إن معنى اليد هاهنا القوة .

وقال إسحاق بن ابراهيم : إنما يكون التشبيه اذا قال يد كيد أو سمع كسمع أو مثل سمع ، فإذا قال : سمع كسمع . أو مثل سمع فهذا التشبيه .

وإما إذا قال كما قال الله تعالى : يد وسمع وبصر ، ولا يقول : كيف . ولا يقول : مثل سمع ولا كسمع ، فهذا لا يكون تشبيها .

وهو كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ لَيْس كمثلِهِ شَيْءٌ وهوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴾ [الشورى : ١١] (الترمذي كتاب الزكاة عقب حديث ٦٦٢ ج ٣ ص ٤٣ طبعة الحلبي) .

وروى ايضا حديث الحسن البصري عن أبي هريرة

مرفوعا ، في السماوات والمسافات بينها ، وان العرش فوقها ، وذكر الأرضين والمسافات بينها ، ثم قال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . ثم اثبت استواء الله على عرشه فقال :

وهو على العرش كما وصف في كتابه (٤٨ ـ كتاب التفسير حديث ٣٢٩٨) (٥/٤٠٤) طبعة الحلبي .

أما المؤلفات في نصرة العقيدة ، والرد على أهل البدع ، فهي كثيرة لا تحصى ، نذكر منها ما يأتي :

ألف الامام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والحديث (المتوفي سنة ٢٤١هـ) كتاب : « الرد على الجهمية والزنادقة » . وألف كتاب : « السنة » . وألف ابنه عبد الله كتاب : « السنة » .

وألف أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفى سنة ٢٣٥هـ) كتاب : « الايمان » .

وألف الإمام البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) كتاب : « خلق أفعال العباد » ضمنه الرد على الجهمية المعطلة لصفات الله ، والقائلين بخلق القرآن .

وضمن كتابه « الجامع الصحيح » ثلاثة كتب في هذا المجال : كتاب : « الايمان » وضمنه « الرد على المرجئة » .

وكتاب : « التوحيد » وضمنه « الرد على معطلة الجهمية » ، وكتاب : « الاعتصام » ، وضمنه « وجوب اتباع الكتاب والسنة » وضمنه « الرد على اهل الرأي المفرقين في القياس ، والرد على منكري « حجية خبر الاحاد » .

وألف أبو داود (المتوفى ٢٧٥هـ) كتابه : « السنن » وأدخل فيه كتاب « السنة » ، وضمنه الرد على القدرية والمرجئة والجهمية المعطلة ، وهو يضع تراجم واضحة باسماء هذه الفرق كقوله « بباب الرد على الجهمية » في موضعين من « كتاب السنة » ، في الموضوع الأول رد عليهم إنكار استواء الله على العرش ، وفي الموضوع الثاني رد عليهم إنكار النزول .

ووضع الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (المتوفى ٢٧٣هـ) ، مقدمة لكتابه السنن في اتباع سنة رسول الله - ﷺ - استغرقت ٩٨ صفحة ، وضمنها ستة وستين حديثا ومائتي حديث . وضمنها أبوابا كثيرة من جملتها باب فيما انكرت الجهمية ، ذكر فيه إنكارهم الرؤية ، والكلام ، والاستواء على العرش ، وساق أحاديث في الرد عليهم . وذكر الخوارج وغيرهم من المبتدعة ، وعقد بابا في اجتناب الرأي .

وألف عثمان بن سعيد الدارمي (المتوفي سنة ٢٨٠هـ) كتاب : « الرد على الجهمية » وكتاب : « الرد على بشر

المريسي » .

وصنف أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي (المتوفى سنة ٢٩٢هـ) كتاب « السنة » .

وصنف أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (المتوفي سنة ٣٦٠هـ) كتاب : « الشريعة » . وكتاب : « التصديق بالنظر إلى وجه الله وما أعد لأوليائه » .

وألف أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشافعي الطبراني صاحب التصانيف (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) كتاب : « السنة » .

وألف الإمام أحمد بن محمد بن هانيء أبو بكر الأثرم (المتوفى سنة ٢٧٣هـ) كتاب : « السنة » .

وألف الامام أبو علي حنبل بن اسحاق الشيباني ابن عم الامام احمد بن حنبل وتلميذه (المتوفى سنة ٢٧٣هـ) كتاب : « السنة » .

وألف الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال مؤلف علم أحمد وجامعه (المتوفى سنة ٣١١هـ) كتاب : « السنة » ، وهو في ثلاث مجلدات .

وألف الأمام أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ذو التصانيف (المتوفى سنة ٣٦٩هـ) كتاب : السنة .

وألف أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل الشيباني (المتوفى سنة ٢٨٧هـ) كتاب : السنة .

وصنف أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ المعروف شاهين الحافظ الكبير ذو التصانيف العجيبة (المتوفى ٣٨٥هـ) كتاب : « السنة » .

وصنف الامام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (المتوفى سنة ٣٢٤هـ) كتاب : « الإبانة » . وكتاب : « الموجز على طريقة أهل الحديث في اثبات الصفات » وضمنه الرد على الجهمية وغيرهم من فرق التعطيل .

وألف الإمام الحافظ خُشيش بن اصرم (المتوفى ٢٥٣هـ) كتاب : « الاستقامة والرد على أهل البدع » .

وألف إمام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة (المتوفى سنة ٣١١هـ) كتاب : « التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل » .

وألف إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

(المتوفى سنة ٣١٠هـ) عقيدة على منهج أهل الحديث ، وجرى في تفسيره الكبير الشهير على المنهج نفسه .

وصنف أبوة عبد الله محمد بن يحيى بن منده الحافظ الرحال (المتوفى سنة ٣٠١هـ) كتاب : « السنة » .

وصنف الامام أبو بكر أحمد بن اسحاق الشافعي النيسابوري (المتوفي سنة ٣٤٢هـ) المعروف بالصبغي كتاب : « الأسماء والصفات » . وكتاب : « الإيمان بالقدر » .

وألف أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال الأصبهاني (المتوفى سنة ٣٤٩هـ) كتاب : « السنة » .

وألف أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي (المتوفي سنة ٣٧٧هـ) كتاب : « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » .

وألف الإمام الحافظ الكبير أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (المتوفى سنة ٣٨٥هـ) كتاب : « الصفات » . وكتاب : « النزول » . وكتاب « الرؤية » .

وألف الإمام الحافظ عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (المتوفى سنة ٣٨٧هـ) كتاب : الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، والإبانة الصغرى ، والسنة .

وألف الإمام الحافظ الجوال صاحب التصانيف الكثيرة محمد ابن اسحاق بن يحيى بن منده (المتوفى سنة ٣٩٥هـ) كتاب : « التوحيد » ، وكتاب « الإيمان » .

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي (المتوفى سنة ٤٩٠هـ) كتاب : « الحجة » في مجلد .

وألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي محدث بغداد (المتوفى سنة ٤١٨هـ) كتاب : « شرح أصول السنة » .

وألف الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني (المتوفى سنة ٤٣٨هـ) رسالة في اثبات الاستواء والفوقية .

وألف الإمام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (المتوفى سنة ٤٨١هـ) كتاب : « الفاروق في صفات الله » . وكتاب : « ذم الكلام » .

وألف الإمام الزاهد شيخ الاسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي (المتوفى سنة ٤٩٠هـ) كتاب : « الحجة في مجلد » .

وافتتح الامام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود

البغوي الشافعي (المتوفي سنة ٥١٦هـ) كتابه : « شرح السنة » . بكتاب الايمان من (ص ٧ - ٢٣١) ضمنه الأبواب الآتية :

١ - باب « الايمان بالقدر » . ٢ - باب « وعيد القدرية » . ٣ - باب « الرد على الجهمية » . ٤ - باب « الرد على من قال بخلق القرآن » . ٥ - باب « الاعتصام بالكتاب والسنة » . ٦ - باب « رد البدع والأهواء » . ٧ - باب « مجانبة اهل الأهواء » .

ونهج في كتابه التفسير نهج أهل الحديث والسنة ، في اثبات الصفات ومخالفة أهل الأهواء في ذلك .

وألف العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي صاحب شيخ الاسلام الهروي (المتوفى سنة ٥٣٢هـ) عقيدة على منهج السلف .

وألف الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني (المتوفى سنة ٥٣٥هـ) كتاب : « الحجة في بيان المحجة على منهج أهل الحديث » .

وألف الإمام الحافظ محدث الإسلام عبد الغني بن عبد الواحد ابن سرور المقدسي الحنبلي صاحب التصانيف (المتوفى سنة ٦٠٠ هـ) كتابا في الصفات في جزئين (تذكرة الحفاظ ٣/١٣٧٤) .

وألف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ (المتوفي سنة ٧٣٨هـ) عددا من الكتب في : العقيدة والدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، كالعقيدة الواسطة ، والعقيدة الحموية والعقيدة التدمرية ، واقتضاء الصراط المستقيم ، ومنهاج السنة ، والرد على البكري ، والرد على الاخنائي ، والفتاوي ، وكلها تهدف إلى العودة بالأمة الاسلامية إلى الكتاب والسنة ، وإلى منهج السلف الصالح .

وألف تلميذه الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ (المتوفى سنة ٧٥١هـ) كتاب : « الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة » ، وكتاب : « اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية » . « والقصيدة النونية » في مجال العقيدة . و« أعلام الموقعين » في باب الاعتصام بالسنة .

وألف الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ) كتاب : « العلو للعلي الغفار » ، جمع فيه نصوص الكتاب والسنة في علو الله ، وما بلغه من أقوال الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث وأئمة الفقه وأتباعهم ، إلى عصره .

وألف العلامة القاضي صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٩٢هـ) رسالة سماها « الاتباع » موضوعها وجوب اتباع السنة كما شرح « العقيدة الطحاوية » ، على منهج أهل الحديث ، في الصفات والقرآن والقدر وغيرها من العقائد الاسلامية .

ثم كانت حركات الدعوة إلى الكتاب والسنة ، وتصحيح العقائد ومحاربة البدع في العالم الإسلامي ، كحركة الصناعني (المتوفى ١١٨٢هـ) والشوكاني (المتوفى ١٢٥٠هـ) في اليمن .

وحركة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المتوفى ١٢٠٦هـ) في الجزيرة العربية وحركة أهل الحديث في الهند ، امتدادا لدعوة أهل الحديث ومنهجهم ، وهي لا تزال قائمة إلى قيام الساعة ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ، إلى قيام الساعة » .

شهادة العدول الصادقين لهم بأنهم على الصراط المستقيم والحق الواضح المبين

شهادة ابن قتيبة :

ألف فقيه الأدباء ، وأديب الفقهاء ، الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦هـ) كتابا سماه « تأويل مختلف الحديث دفاعا عن سنة رسول الله ﷺ وعن حملتها وناقليها وحفاظها أهل الحديث » .

قال في مطلع الكتاب : (أما بعد) أسعدك الله تعالى بطاعته ، وحاطك بكلاءته ، ووفقك للحق برحمته ، وجعلك من أهله ، فإنك كتبت إلى تعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام . أهل الحديث وامتهانهم وإسهابهم في الكتب بذمهم ورميهم بحمل الكذب ، ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف ، وكثرت النحل ، وتقطعت العصم ، وتعادى المسلمون وأكفر بعضهم بعضا وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث ، ثم ذكر الخوارج وما تعلقت به من الأحاديث ، في تأييد مذهبها ، والمرجئة وما تعلقت به كذلك والمفوضه وما تعلقت به من الأحاديث ، والرافضة وما تعلقت

بـه من الأحاديث في ضـلالتها وتكفيـرها ، الصحـابة ومفضلوا الفقـر ومـا تعلقت بـه ، ثم ذكـر طعـون الـزنـادقـة في أهــل الحديث .

ثم قال : « باب ذكـر أصحاب الكـلام وأصحاب الـرأي » فقال : وقد تدبرت رحمك الله ـ مقالة أهل الكلام : فوجـدتهم يقـولون عـلى الله ما لا يعلمـون ويفتنون النـاس بمـا يـأتـون ، ويبصـرون القـذى في عيـون النـاس وعيـونهم تـطرف عـلى الأجـذاع ، ويتهمون غيـرهم في النقل ولا يتهمـون آراءهم في التـأويل . ومعـاني الكتاب والحـديث ومـا أودعـاه من لـطائف الحكمه ، وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة ، والتولد ، والعرض والجوهر ، والكيفية والكمية ، والأنية ، ولو ردوا المشكـل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج . ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الاتباع . واعتقاد الإخوان بالمقالات . والناس أسراب طير يتبع بعضهـا بعضا . ولـو ظهر لهم من يدعي النبوة ، مـع معرفتهم بـأن رسول الله ﷺ خـاتم الأنبيـاء ، أو من يـدعي الـربـوبيـة لـوجـد عـلى ذلـك إتبـاعـا واشياعيا . وقد كان يجب ـ مع ما يدعونه من معرفـة القياس ، وإعـداد آلات النـظر ـ أن لا يختلفـوا كـما لا يختلف الحُسَّاب. والمسـاح والمهندسـون لأن آلتهم لا تدل إلا عـلى عدد واحـد ، وإلا على شكل واحـد ، وكما لا يختلف حـذاق الأطباء في المـاء

ونبض العروق ، لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد ، فما بالهم أكثر الناس اختلافا لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين.

ثم ذكر تضارب الآراء ، واختلاف الأهواء ، والاتجاهات ، بين زعماء أهل الكلام ، وانتقدهم أشد النقد ، ثم قال: ذكر أصحاب الحديث :

فأما أصحاب الحديث ، فإنهم التمسوا الحق من وجهته ، وتتبعوه من مظانه ، وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله ﷺ ، وطلبهم لآثاره وإخباره برا وبحرا وشرقا وغربا ، يرحل الواحد منهم راجلا مقويا ، في طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة ، حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة ، ثم لا يزالوا في التنقير عن الأخبار والبحث لها ، حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي ، فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً ،وبسق بعد أن كان دارسا ، واجتمع بعد ان كان متفرقا ، وانقاد للسنن من كان عنها معرضا ، وتنبه لها من كان عنها غافلا ، وحكم بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان ، وإن كان فيه خلاف على رسول الله ﷺ وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف ، وطلبهم الغرائب .

وفي الغريب الداء . ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوهما حقا . بل جمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، يميزوا بينهما ، ويدلوا عليهما ، وقد فعلوا ذلك . ثم ذكر طائفة من الأحاديث الموضوعة وذكر نقد المحدثين لها ، وتزييفهم إياها وفضح واضيعها .

رحمه الله وجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا .

شهادة الإمام ابن حبان :

قال الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد التميمي (المتوفى سنة ٣٥٤) في مقدمة صحيحه « انظر الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (١/ ٢٠ ـ ٢٣) .

بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله :ـ

ثم اختار طائفة لصفوته ، وهداهم للزوم طاعته ، من اتباع سبل الأبرار في لزوم السنن والآثار ، فزين قلوبهم بالإيمان ، وأنطق ألسنتهم بالبيان ، من كشف أعلام دينه ، واتباع سنن نبيه بالدؤب في الرحل والأسفار ، وفراق الأهل والأوطار ، في جمع السنن ، ورفض الأهواء ، والتفقه فيها بترك الآراء ، فتجرد القوم للحديث وطلبوه ، ورحلوا فيه ، وكتبوه ، وسألوه

عنه وذاكروا به ، ونشروه ، وتفقهوا فيه وأصلوه ، وفرعوا عليه وبذلوه ، وبينوا المرسل من المتصل ، والموقوف من المنفصل ، والناسخ من المنسوخ ، والمحكم من المنسوخ ، والمفسر من المجمل ، والمستعمل من المهمل ، والمختصر من المتقصي ، والملزوق من المتفصي ، والعموم من الخصوص ، والدليل من المنصوص ، والمباح من المزجور ، والغريب من المشهور ، والغرض من الإرشاد ، والحتم من الايعاد ، والعدول من المجروحين ، والضعفاء من المتروكين ، وكيفية المعمول من المجهول ، وما حرف عن المخزول ، وقلب عن المنحول من مخايل التدليس ، وما فيه التلبيس ، حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين ، وصانه من ثلب القادحين ، جعلهم عند التنازع أئمة الهدى ، وفي النوازل مصابيح الدجى ، فهم ورثة الأنبياء ومأنس الأصفياء .

ثم بعد الشهادة لرسول الله بالرسالة والبلاغ المبين والجهاد وآثار ذلك قال : وإن في لزوم سنته ، تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفأ سرجها ، ولا تدحض حججها . من لزمها عصم ، ومن خالفها ندم ، إذ هي الحصن الحصين ، من تمسك به ساد ومن رام خلافه باد ، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل ، والمغبوطون بين الأنام في العاجل . وقال : (١/١٠٥) وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق

عليها أمة المصطفى ﷺ ، ثم ذكر حديث العرباض بن سارية وفيه « فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

ثم قال : في قوله ﷺ : « فعليكم بسنتي » عند ذكره الاختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح ، ان من واظب على السنن ، وقال بها ، ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرقة الناجية ، في القيامة جعلنا الله منهم بمنه .

ثم قال في : (١/١٠٧) « ذكر البيان بأن من حب الله عز وجل وصفيه ﷺ بإيثار أمرهما ، وابتغاء مرضاتهما على رضا سواهما يكون في الجنة مع المصطفى ﷺ »

ثم قال في (١/١٥١) « كتاب العلم : ذكر إثبات النصرة لأصحاب الحديث إلى قيام الساعة » .

ثم أورد حديث معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

شهادة الامام الرامهرمزي :

وقال الإمام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (المتوفى سنة ٣٦٠) في مقدمة كتابه « المحدث الفاصل » (ص : ١ ـ ٤) .

« اعترضت طائفة ممن ينشأ الحديث ويبغض أهله ، فقالوا بنقص أصحاب الحديث وازراء بهم ، وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم ، وقد شرف الله الحديث ، وفضل أهله ، وأعلى منزلته ، وحكمه على كل نحلة ، وقدمه على كل علم ، ورفع من ذكر من حمله وعنى به ، فهم بيضة الدين ، ومنار الحجة ، وكيف لا يستوجبون الفضيلة ، ولا يستحقون الرتبة الرفيعة ، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين ، واخبروا عن أنباء التنزيل ، وأثبتوا ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول ﷺ فنقلوا شرائعه ودونوا مشاهده ، وصنفوا أعلامه ودلائله ، وحققوا مناقب عترته ، ومآثر آبائه ، وعشيرته ، وجاءوا بسير الأنبياء ، ومقامات الأولياء واخبار الشهداء والصديقين ، وعبروا عن جميع فعل النبي ﷺ ، في سفره وحضره ، وظعنه واقامته ، وسائر احواله من منام ويقظة ، واشارة وتصريح ، وصمت ونطق ، ونهوض وقعود ، ومأكل ومشرب ، وملبس

ومركب ، وما كان سبيله في حال الرضا والسخط ، والإنكار والقبول ، حتى القلامة من ظفره ما كان يصنع بها ، والنخاعة من فيه أين كان وجهتها ، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله ، وعند كل موقف ومشهد يشهده ، تعظيما له ﷺ ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه ، وأسند إليه ، فمن عرف للإسلام حقه ، وأوجب للرسول حرمته ، أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه ، وأعلى مكانه ، وأظهر حجته ، وأبان فضيلته ، ولم يرتق بطبيعته إلى حزب الرسول ، وأتباع الوحي ، وأوعية الدين ، ونقلة الأحكام والقرآن ، الذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل فقال : ﴿ **والذين اتبعوهم بإحسان** ﴾ .

فإنك إذا أردت التوصل إلى معرفة هذا القرن ، لم يذكرهم لك إلا راوي الحديث متحقق به أو داخل في حيز أهله ومن سوى ذلك فربك بهم أعلم .

ثم ذكر كلاما لبعض الحاقدين على أهل الحديث ، وبين باعث هذا الحقد ، ثم رد عليه ، ثم وجه نصيحة لطلاب الحديث فقال :

فتمسكوا ـ جبركم الله ـ بحديث نبيكم ﷺ وتبينوا معانية ، وتفقهوا به وتأدبوا بآدابه ، ودعوا ماتعيرون به من تتبع الطرق ، وتكثير الأسانيد ، وتطلب شواذ الأحاديث ، وما

دلسه المجانين ، وتبلبل فيه المغفلون ، واجتهدوا في أن توفوه حقه من التهذيب والضبط والتقويم ، لتشرفوا به في المشاهد وتنطلق السنتكم في المجالس ، ولا تحفلوا بمن يعترض عليكم حسدا على ما آتاكم الله من فضله ، فإن الحديث ذكر لا يحبه إلا الذاكرون ، ونسب لا يجهل بكل مكان ، وكفى بالمحدث شرفا أن يكون اسمه مقرونا باسم النبي ﷺ ، وذكره متصلا بذكره ، وذكر أهل بيته وأصحابه .

ولذلك قيل لبعض الأشراف : نراك تشتهي أن تحدث فقال : أولا أحب أن يجتمع اسمى واسم النبي ﷺ في سطر واحد . وحسبك جمالا عصبة منهم : على ابن الحسين بن علي رضي الله عنهم ، ومن يليه من ذريته ، وأهل بيت النبي ﷺ ، وأبناء المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، وأهل الزهادة والعبادة والفقهاء ، وأكثر الخلفاء ، ومن لا يدركه الاحصاء ، من العلماء والنبلاء والفضلاء ، والأشراف ذوي الأخطار ، فكيف بمن يسميهم الحشوية الرعاع ويزعم أنهم أغثار وحملة أسفار ، والله المستعان » .

شهادة الحاكم :

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥) في مقدمة كتابه : « معرفة

علوم الحديث » (ص : ١ ـ ٤)

« الحمـد لله ذي المن والاحسـان والقـدرة والسلطان الـذي أنشـأ الخلق بربوبيته وجنسهم بمشيئتـه واصـطفى منهم طـائفـة اصفيـاء ، وجعلهم بررة اتقيـاء ، فهم خواص عبـاده ، وأوتاد بلاده ، يصرف عنهم البـلايا ، ويخصهم بـالخيرات والعـطايا ، فهم القائمون باظهار دينـه ، والمتمسكون بسنن نبيـه ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله الذي زجـر عن اتخاذ الأوليـاء دون كتابـه ، واتباع الخلق دون نبيه ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ وأن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المجتبى ، بلغ عنه رسالتـه فصلى الله عليه آمراً وناهياً ومبيحاً وزاجراً وعلى آله الطيبين .

أمـا بعد ـ فـإني لما رأيت البـدع في زماننـا كثرت ، ومعـرفة الناس بأصول السنن قلت مع إمعانهم في كتابه الأخبار ، وكثرة طلبها على الإهمـال والإغفال ، دعـاني ذلك إلى تصنيف كتـاب خفيف ، يشتمل على ذكر أنواع علم الحـديث ، مما يحتـاج إليه طلبة الأخبار المواظبون على كتابه الآثار .

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا ابراهيم بن مرزوق البصري بمصر ، حدثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن معاوية بن قـرة قال : سمعت أبي يحـدث عن النبي ﷺ قال : « لا يـزال نـاس من أمتي منصـورين لا يضــرهم من خـذلهم حتى تقــوم

الساعة » .

سمعت أبا عبد الله محمد بن علي بن عبد الحميد الآدمي بمكة يقول سمعت موسى بن هارون يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول ، وسئل عن معنى هذا الحديث ، فقال : « إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث ، فلا أدري من هم ؟ قال أبو عبد الله : وفي مثل هذا قيل : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا ، نطق بالحق . فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر ، إن الطائفة المنصورة التي لا يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث .

ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين ، واتبعوا آثار السلف الماضين ، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ، من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار ، على التنعم في الدمن والأوطان ، وتنعموا بالبؤس في الأسفار ، مع مساكنة العلم والأخبار ، وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار ، بوجود الكسر والأطمار ، قد تركوا الالحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية ، وتوابع ذلك من البدع والأهواء ، والمقاييس والآراء والزيغ ، جعلوا المساجد بيوتهم ، وأساطينها تكاهم ، وبواريها فرشهم .

حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة ثنا

محمد بن الحسين بن أبي الحسين ثنا عمر بن حفص بن غياث قال : سمعت أبي وقيل له : « الا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه . قال : هم خير أهل الدنيا » .

وحدثني أبو بكر محمد بن جعفر المزكي ، ثنا أبو بكر محمد ابن إسحاق ، قال : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : « إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس ، يقيم أحدهم ببابي وقد كتب عني فلو شاء أن يرجع ويقول : حدثني أبو بكر جميع حديثه فعل ولكنهم لا يكذبون »

قال أبو عبد الله : ولقد صدقا جميعا أن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لا يكونون كذلك ، وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم ، وجعلوا غذاءهم الكتابة ، وسمرهم المعارضة ، واسترواحهم المذاكرة ، وخلوتهم المداد ، ونومهم السهاد ، واصطلاءهم الضياء وتوسدهم الحصى ، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء ، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس ، فعقولهم بلذاذة السنة غامرة ، قلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة ، تعلم السنن سرورهم ، ومجالس العلم حبورهم . وأهل السنة قاطبة إخوانهم ، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم . سمعت أبا الحسين محمد بن

أحمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت أبا اسماعيل محمد بن اسماعيل الترمذي يقول :

« كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة اصحاب الحديث ، فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال : زنديق زنديق زنديق ودخل البيت .

سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول : سمعت جعفر ابن سنان الواسطي يقول : سمعت أحمد بن سنان القطان يقول : « ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه ». قال : أبو عبد الله وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا ، كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع ، لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية . . . أهـ

أقول هذه الكراهية والبغضاء والحقد الأرعن مازال اهل البدع والزيغ يتوارثونه جيلا بعد جيل ، إلى يومنا هذا ، فأشد أعدائهم هم أهل الحديث والسنة والتوحيد ، والحديث بقال الله قال رسول الله خصوصا فيما يتعلق بتوحيد الله ، ورد البدع أشد عليهم من وقع السهام ، وقرع السيوف وصوت القنابل والمدافع .

شهادة الخطيب البغدادي :

وألف الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣) كتابا اسماه « شرف أصحاب الحديث » :

قال في مقدمته : بعد أن ذكر أقوال العلماء في ذم الرأي من (ص : ٣ ـ ٥) : « فلو أن صاحب الرأي المذموم ، شغل نفسه بما ينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء المحدثين ، لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواءه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه ، لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ، والإخبار عن صفة الجنة والنار . من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسبحين .

إلى أن يقول : وقد جعل الله أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله في خليفته ، والواسطة بين النبي وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته . أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة .وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه وتستحسن رأيا تعكف عليه ، سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم والسنة حجتهم ، والرسول فئتهم ، واليه نسبتهم ، لا يعرجون

على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووا عن الرسول وهم المأمونون عليه العدول . حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته ، إذا اختلف في الحديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع . منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد في قبيلته ، مخصوص بفضيلته ، وقارىء متقن ، وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم ، وسبيلهم المستقيم ، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر ، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر . من كادهم قصمه الله ومن عاندهم خذله الله ، ولا يضرهم من خذلهم ، ولا يفلح من اعتزلهم ، المحتاط لدينه إلى ارشادهم فقير ، وبصر الناظر بالشر اليهم حسير . وان الله على نصرهم لقدير . ثم ساق إسناده إلى علي بن المديني . قال : في حديث النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » .

قال (أي ابن المديني) : « هم أهل الحديث » والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ويذبون عن العلم ، ولولاهم ، لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية واهل الإرجاء والرأي شيئا من السنن . فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة ، حراس الدين ، وصرف عنهم كيد المعاندين ، لتمسكهم بالشرع المتين ، واقتفاءهم آثار الصحابة والتابعين ، فشأنهم حفظ

الآثار ، وقطع المفاوز والقفار ، والركوب البراري والبحار ، في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى ، قبلوا شريعته قولا وفعلا ، وحرسوا سنته حفظا ونقلا ، حتى بينوا بذلك أصلها ، وكانوا أحق بها وأهلها . فكم من ملحد يروم أن يخلط في الشريعة ما ليس منها ، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها ، فهم الحفاظ لأركانها ، والقوامون بأرمها وشأنها . إذا صدف عن الدفاع عنها . فهم دونها يناضلون ﴿ أولئك حزب الله هم المفلحون ﴾ .

ثم قال في (ص:٦) قال الخطيب : قد ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المؤلف في تأويل مختلف الحديث ما يتعلق به أهل البدع من الطعن على أصحاب الحديث . ثم ذكر من فساد ما تعلقوا به ما فيه مقنع لمن وفقه الله لرشده ، ورزقه السداد في قصده ، وأنا أذكر في هذا الكتاب إن شاء الله ما روى عن رسول الله ﷺ في الحث على التبليغ عنه ، وفضل النقل لما سمع منه ، ثم ما روى عن الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من العلماء الخالفين ، في شرف أصحاب الحديث ، وفضلهم ، وعلو مرتبتهم ، ومحاسنهم المذكورة ، ومعالمهم المأثورة . نسأل الله عز وجل ان ينفعنا بمحبتهم ، ويحيينا على سنتهم ، ويميتنا على ملتهم ويحشرنا في زمرتهم إنه بنا خبير بصير ، وهو على كل شيء قدير .

ثم أورد حديث «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه» من طرق إلى زيد بن ثابت ، وجبير بن مطعم ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ثم روى باسناده إلى سفيان بن عيينة أنه قال : ما من أحد يطلب الحديث الا في وجهه نضرة لقول النبي ﷺ «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه» (ص: ١٠، ١١) ثم أورد روايات في وصية النبي ﷺ باكرام أصحاب الحديث (ص: ١١ :١٢) ثم أورد حديث «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء» من طريق أبي هريرة وعبد الله بن مسعود ثم قال عقبه : «قال عبدان : هم أصحاب الحديث الأوائل» (ص:١٣) ثم أورد حديث : «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» ثم روى باسناده إلى الامام أحمد بن حنبل أنه قال : - يعني في الفرقة الناجية - : اِن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا ادري من هم ؟ (ص:١٣) . ثم ذكر قوله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» من حديث معاوية بن قرة وعُمران بن حصين . ثم قال يزيد بن هارون : «إن لم يكونوا اصحاب الحديث فلا أدري من هم ؟ وروى باسناده الى عبد الله بن المبارك . أنه قال : «هم عندي أصحاب الحديث» ثم روى أيضا باسناده إلى أحمد بن حنبل وأحمد بن سنان وعلي بن المديني أنهم قالوا : إنهم أصحاب

الحديث وأصحاب العلم والأثر (ص: ١٤ ، ١٥) ثم أورد حديثا عن علي رضي الله عنه ، في كون أهل الحديث خلفاء النبي ﷺ في التبليغ عنه . (ص : ١٧ ، ١٨) .

ثم قال :وصف النبي ﷺ إيمان أهل الحديث ، ثم ذكر في هذا المعنى حديثا عن عبد الله بن عمرو ، وآخر عن عمر بن الخطاب مرفوعين إلى النبي ﷺ (ص ١٨ ، ١٩) . ثم قال : « كون أصحاب الحديث أولى بالنبي ﷺ لدوام صلاتهم عليه ، ثم أورد في هذا المعنى حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علي » ثم قال : قال أبو نعيم رحمه الله وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ، ونقلتها ، لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على النبي ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً ـ وذكراً ـ (ص : ١٩ ، ٢٠) .

ثم قال : بشارة النبي ﷺ بكون طلبه الحديث بعده ، واتصال الاسناد بينهم وبينه ، وساق حديثا في هذا المعنى عن ثابت بن قيس مرفوعا وآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ثم قال : ذكر بيان فضل الإسناد ، وأنه مما خص الله به هذه الأمة ثم ذكر جهود أهل الحديث ، واهتمامهم بالأسانيد ، وتحريهم في الأخذ عن الثقات ، واجتهادهم في كتابة الحديث ،

وتتبع طرقه ونقدهم للرواة ، وبعدهم عن المحاباة فلا يحابي احدهم في الحديث أباه ، ولا اخاه ، ولا ولده ، ثم قال : وهذا علي بن المديني وهو امام الحديث في عصره لا يروى عنه حديث واحد في تقوية ابيه ، بل يروى عنه ضد ذلك (ص: ٢٢ ، ٢٣) .

ثم قال : كون أصحاب الحديث أمناء الرسول ﷺ لحفظهم السنن ، وتبينهم لها .

ثم نقل عن أبي حاتم فضل أهل الحديث ، وعن عبد الله ابن داود الخريبي يقول سمعت أئمتنا ، ومن فوقنا أن أصحاب الحديث ، وحملة العلم هم أمناء الله على دينه ، وحفاظ سنة نبيه ماعملوا وعلموا . ثم روى باسناده الى ـ كهمس ـ رحمه الله قال : « من لم يحقق ان اهل الحديث حفظة الدين ، فإنه يعد في ضعفاء المساكين الذين لا يدينون لله بدين (ص: ٢٤ ، ٢٥)

ثم أورد العنوان التالي : وهو كون أصحاب الحديث حماة الدين بذبهم عن السنن ، وساق تحت هذا العنوان قول الثوري : « والملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض » وقول يزيد بن زريع : « لكل دين فرسان ، وفرسان هذا الدين أصحاب الاسانيد » (ص: ٢٥) .

ثم قال : كون أصحاب الحديث ورثة رسول الله ﷺ ، فيما خلفه من السنة ، وأنواع الحكمة .

وذكر أثرا عن ابن مسعود ، أن السنة هي ميراث رسول الله ﷺ ، ثم اعتبار الفضيل بن عياض أهل الحديث ورثة الأنبياء . ثم قول الشافعي : « إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث ، فكأني رأيت النبي ﷺ حيا » ساق هذا الى الشافعي بإسناد صحيح (ص: ٢٥، ٢٦) .

ثم قال : « كونهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر » .

وروى بإسناده إلى إبراهيم بن موسى أنه سئل من الأمارون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟ قال : نحن منهم نقول : قال رسول الله ﷺ : لا تفعلوا كذا (ص: ٢٦) .

ثم قال : « كونهم خيار الناس . ثم روى باسناده الى ابي بكر بن عياش أنه قال « ما قوم خير من أصحاب الحديث » وقال : « ما أعلم في الدنيا خيرا منهم »

وباسناده إلى أحمد بن حنبل : قال : « ليس قوم عندي خيرا من أهل الحديث ليس يعرفون الا الحديث » . وقال : أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم .

وقال أحمد أيضا : إن لم يكن هؤلاء هم الناس ، فلا أدري

من الناس » . وبإسناده إلى الأوزاعي أنه قال : « لا أعلم أحداً أفضل من أهل الحديث » وباسناده إلى عثمان بن أبي شيبة أنه قال في أهل الحديث : « أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم » .

وبإسناده إلى أبي يوسف القاضي أنه قال ـ وقد رأى أصحاب الحديث على الباب : « ما على الأرض خير منكم » (ص : ٢٦ ـ ٢٨) ثم عنون بما يأتي : « من قال إن الأبدال والأولياء أصحاب الحديث » ثم ساق قول صالح بن محمد الرازي ، ويزيد بن هارون، وسفيان الثوري ، وأحمد بن حنبل في هذا المعنى أي أن أهل الحديث هم أولياء الله وهم الأبدال (ص : ٢٨) .

ثم أورد عنوانا بلفظ ، من قال : لولا أهل الحديث لاندرس الإسلام ثم ساق بإسناده أقوال حفص بن غياث ، وأبي داود ، وعلى بن المديني في هذا المعنى ولفظ أبي داود : لولا هذه العصابة لا ندرس الإسلام يعني أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار (ص : ٢٩) .

ثم قال : من قال : إن الحق مع أصحاب الحديث ، وساق أسانيده إلى هرون الرشيد ، والوليد الكرابيسي ، ومحمد بن قريش العنبري البصري ، شهادتهم لأهل الحديث : أنهم أهل

الحق ولفظ الرشيد « طلبت أربعة ، فوجدتها في أربعة ، طلبت الكفر فوجدته في الجهمية وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة ، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة ، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث ، (ص: ٣١، ٣٢) . ثم قال كون أهل الحديث أولى الناس بالنجاة في الآخرة ، وأسبق إلى الجنة . ثم ساق بإسناده حديثا مرفوعا في هذا المعنى ثم عقبه بأقوال في هذا المعنى أسندها إلى أبي جعفر النفيلي وإلى أبي مزاحم الخاقاني ، وشاذان بن يحيى وابن المبارك ، والحسن بن علي التميمي .

وقول النفيلي : « إن كان على وجه الأرض أحد ينجو فهؤلاء الذين يطلبون الحديث » . (ص: ٣٢، ٢٢) .

ثم تكلم في فضل الرحلة في طلب الحديث وسماعه ، وكونه فيه خير الدنيا والآخرة ، وذم الذين لم يسمعوا الحديث ، والترغيب في كتابة الحديث وثبوت حجة صاحب الحديث ، ووصف الراغب في الحديث والزاهد فيه .

ثم قال : الاستدلال على أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث وأسند إلى قتيبة بن سعيد قوله : « إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث ، مثل يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن ابن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وذكر

قوما آخرين فإنه على السنة ، ومن خالف هذا ، فاعلم أنه مبتدع » (ص: ٤٠)

ثم أسند إلى أحمد بن حنبل أن أحمد بن الحسن الترمذي قال له : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال له أصحاب الحديث قوم سوء فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه . فقال : زنديق زنديق زنديق ودخل بيته . وذكر أقوالا عن الاوزاعي وغيره ، أن من علامة المبتدعة عدم انقيادهم للحديث (ص: ١٠، ٤١) .

ثم قال : من جمع بين مدح أصحاب الحديث وذم أهل الرأي والكلام الخبيث . وأسند إلى الشعبي وأحمد بن شبويه ومحمد بن عبد الرحمن النسفي ، أقوالهم في ذم الرأي .

ثم أسند إلى عبيدة بن زياد الأصبهاني أنه قال :

دين النبي محمد اخبار
نعم المطية للفتى آثار
لا تخدعن عن الحديث وأهله
فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى سبل الهدى
والشمس بازغة لها أنوار

وساق أقوالا لعلماء في ذم الرأي . ثم أسند إلى أبي عبد الله محمد بن علي الصوري أنه قال :

قل لمن عاند الحديث واضحى
عائبا أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا ابن لي
أم بجهل ، فالجهل خلق السفيه
ايعاب الذين هم حفظوا الدين
من الترهات والتمويه
وإلى قولهم ، وما قد رووه
راجع كل عالم وفقيه

ثم ساق أقوالا في ذم الكلام وأهله ومنها قول الشافعي : حكمي في اهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا على الابل ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ بالكلام (ص: ٤١ ـ ٤٣) رحمه الله وجزاه الله عن الحديث وأهله خيرا .

شهادة الإمام ابن تيمية :

وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ رحمه الله ـ (المتوفى ٧٢٨هـ) في فتاواه (٤/ ٩ ـ ١١) :

« من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم . فإن المنازع لهم لابد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا أخرى ، مثل المعقول ، والقياس ، والرأي ، والكلام ، والنظر ، والاستدلال ، والمحاجة ، والمجادلة ، والمكاشفة ، والمخاطبة ، والوجد ، والذوق ، ونحو ذلك . وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها : فهم أكمل الناس عقلا ؛ وأعدلهم قياسا ، وأصوبهم رأيا ، وأسدهم كلاما وأصحهم نظرا ، وأهداهم استدلالا ، وأقومهم جدلا ، وأتمهم فراسة ، وأصدقهم الهاما ، وأحدهم بصرا ومكاشفة ، وأصوبهم سمعا ومخاطبة ، وأعظمهم وأحسنهم وجدا وذوقا . وهذا هو للمسلمين بالنسبة الى سائر الأمم ، ولأهل السنة والحديث بالنسبة الى سائر الملل .

فكل من استقرأ أحوال العالم ، وجد المسلمين أحد وأسد عقلا ، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال ، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين . وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوى الإدراك ويصححه ، قال تعالى : **﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾** وقال : **﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا**

اجرا عظيما ، ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ .

وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم ، فلا تجد مسألة خولفوا فيها ، إلا وقد تبين أن الحق معهم . وتارة بإقرار مخالفيهم ورجوعهم إليهم دون رجوعهم إلى غيرهم ، أو بشهادتهم على مخالفيهم بالضلال والجهل . وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض . وتارة بأن كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الأخرى ، وتشهد بالضلال على كل من خالفها أعظم مما تشهد به عليهم .

فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض : فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين ، لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيما أعظم مما عظموا به ، ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه ، كما لا ينقص الا بقدر ما خالفهم .

حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك ، كما قال الإمام أحمد : « آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز » ، فإن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته ، فأما وقت الموت فلابد من الاعتراف بالحق من عموم الخلق . ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازته : مسح المتوكل موضع الصلاة عليه ، فوجد ألف ألف وستمائة ألف ؛ سوى من صلى

في الخانات والبيوت .

وكذلك الشافعي ، واسحق ، وغيرها ، إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة . وكذلك البخاري وأمثاله إنما نبلوا بذلك ، وكذلك مالك والاوزاعي ، والثوري ، وأبو حنيفة وغيرهم ، إنما نبلوا في عموم الامة ، وقبل قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة ، وما تكلم فيمن تكلم فيه منهم الا بسبب المواضع التي لم يتفق له متابعتها من الحديث والسنة ، إما لعدم بلاغها إياه ، أو لاعتقاده ضعف دلالتها ، أو رجحان غيرها عليها » .

فهذا قليل من كثير ، في حال أهل الحديث وواقعهم ، وما قيل من مدح بحق وشهادة بصدق . نقلت هذا لمن كان على نهجهم في اتباع الكتاب والسنة ليزداد ايمانا وثباتا ، ولمن خدع من المنتسبين الى السنة بمغالطات وتلبيسات الجهمية والمرجئة وغيرهما من الفرق الضالة، فوقع في شيء من التعطيل والتأويل الجهمي ، أو التخريف الصوفي ، أو وقع في مزالق الارجاء ، أو سقط في أفخاخ الجبرية ، ليعود إلى أصله ، ويأوى إلى عرينه ، فيلزم عرين أهل الحديث ، ويكون في ركبهم ويتبع حاديهم .

أهل الحديث هموا اهل النبي وان

لم يصحبوا نفسه ، انفاسه صحبوا

* * *

دين النبي محمد اخبار

نعم المطية للفتى آثار

لا ترغبن عن الحديث واهله

فالرأى ليل والحديث نهار

ولربما جهل الفتى أثر الهدى

والشمس بازغة لها أنوار

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ [النساء : ٦٩ - ٧٠] . جعلنا الله واياكم من أتباع أهل الحديث ، والسلف الصالح . إنه سميع الدعاء وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .